بسم الله الرحمن الرحيم

الجمعة ١٤٢٤/١١/١٧هـ

الجزء الخامس – الخطبة رقم ٢٢

تحريم المساس بكمال الشريعة

إن الحمد لله...

فمعاشر المسلمين؛ لما كانت أحوال الناس متباينة في تصرفاتها مختلفة في مشاربها وكانت حياتهم لا تصفو لهم إلا بما يرتب شئونها ويحفظ حقوقها فلا يبغي أحد على أحد كان من لازم تحقيق تلك المصالح وغيرها أن جعل الله تعالى الشرائع السماوية قاطعة للتنازع حافظة للحقوق والمحارم يرتدع أحدهم عن ظلم أخيه رغبة فيما عند الله من الأجر أو رهبة وخشية من تلك العقوبات التي جاءت بها الشرائع لمن اعتدى وبغى.

معاشر المسلمين؛ وعلى عظيم شأن الشرائع السماوية إلا أن خاتمة تلك الشرائع هي أعظمها حكما وأحكاما، وأتمها شمولا وكمالا.

معاشر المسلمين؛ وإذا علم بالدلالات القطعية أن الشريعة تامة في كمالها تامة في شموليتها تامة في كلياتها وجزئياتها فإن من الجناية والمهلكة أن تمس أحكام الشريعة بنقص أو زيادة أو تنقص بدعوى المصلحة فلازم ذلك طعن في مشرعها وطعن في مبلغها وهذا عين الضلالة والغواية.

معاشر المسلمين؛ ولأن ولوج هذا الباب أذن بحصول الفساد والإفساد لا على سبيل الفرد فحسب بل على عموم المجتمع، لما كان الأمر كذلك حذر الله تعالى في كتابه، وحذر النبي صلى الله عليه وسلم في سننه من المساس بكمال الشريعة، وكذا الوعيد والتحذير في نصوص الكتاب والسنة من التهاون بذلك الأمر ناهيكم عن قربه وملابسته.

معاشر المسلمين؛ وباستقراء قاصر لبعض نصوص الكتاب والسنة تتحصل منه أن المساس بكمال الشريعة يكون على وجوه متنوعة؛ فمن ذلك: عدم التسليم

والانقياد لأحكامها ، ووجود الحرج من ذلك؛ كما قال تعالى:""فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"" فوجود الحرج ينافي التسليم الذي أمر الله تعالى به وفي الوقت نفسه فصاحبه معرض للخسارة لأن تحصيل الفلاح والنجاة من الخسران من صفات المسارعين بالتسليم والانقياد كما وصف الله تعالى بذلك أهل الإيمان فقال:""إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون"".

معاشر المسلمين؛ ومن وجوه المساس بكمال الشريعة: مخالفة أحكامها وهو من لا زم عدم التسليم لها؛ فمخالفة الحكم الشرعي طريق إلى التعرض للفتنة والعذاب كما قال تعالى:""فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم""

معاشر المسلمين؛ ومن وجوه المساس بكمال الشريعة: الاستهزاء بأحكامها وهذا الباب من أعظم الموبقات كما وصف الله تعالى من استهزاء بقوله:""قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن❖ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم"" ومن عظم أمر الاستهزاء أنه من صفات المشركين كما قال تعالى:""إنا كفيناك المستهزئين❖ الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون""

معاشر المسلمين؛ ومن وجوه المساس بكمال الشريعة: أخذ بعض أحكامها وترك بعض؛ فمن لازم ذلك تنقص المتروك، وهذا طعن في مقام التشريع، وقد بين الله تعالى قبح شأن من اتصف بذلك فقال في ذم من فعل ذلك من بني إسرائيل ""أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون❖ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون""

معاشر المسلمين؛ ومن وجوه تنقص الشريعة: تحريف دلالاتها عن مدلولاتها والتلاعب بأوجه دلالاتها مطاوعة لشبهة أو شهوة وبخاصة في مجال الشبهات، كما

قال تعالى في وصف اليهود :""سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه"" ""أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون""

معاشر المسلمين؛ ومن وجوه تنقص الشريعة: كتم بعض أحكامها بقصد التدليس والتلبيس ""إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون"" قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:(هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله) أ. هـ

معاشر المسلمين؛ ومن وجوه تنقص الشريعة: الجرأة على أحكامها والقول فيها بلا علم وهذا أساس الشر والبلاء ومنبع الردى والضلال فما أورد إبليس الموارد إلا جرأته على الاعتراض على أمر الله والتكبر عليه، وما ضلت أمم الضلال إلا لقولهم على الله بلا علم، ولما كان أصل البلاء القول على الله بلا علم حذر الله تعالى من سلوك هذا المسلك الوخيم وبين أنه رأس الضلالة ""قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون"". ولما كان القول على الله بهذه المثابة نهى الله تعالىنبيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك لتكون أمته على بينة من الأمر ""ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا"".

معاشر المسلمين؛ ومن وجوه تنقص الشريعة: الزيادة على أحكامها بدعوى الإكمال لها وهذا طعن في صريح قوله تعالى:""اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"" وقد حذر من ذلك صلى الله عليه وسلم فقال:""وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار""

معاشر المسلمين؛ وقد أكثر السلف من ذم البدع وأهلها وصنفوا في ذلك مصنفات كثيرة ومن بليغ قولهم في ذلك:(من ابتدع في الدين بدعة يرى أنها حسنة فقد

زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة) وكقول بعضهم:(لأن أرى في المسجد نارا لا أستطيع إطفاءها أحب إلي من أن أرى لا أستطيع تغييرها)

اللهم إنا نعوذ بك من صغير البدع وكبيرها ، ونسألك الله تعظيم السنة وتطبيقها. أقول قولي هذا وأستغفر الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله...

معاشر المسلمين؛ وإنما حرم المساس بكمال الشريعة لأن ذلك من الطعن في مشرعها ومبلغها ، فمشرعها هو الله تعالى ، ومبلغها هو النبي صلى الله عليه وسلم يضاف إلى ذلك أن المساس بأحكامها مساس بمصلحة الناس في جميع شئون حياتهم ، فشريعة الإسلام شريعة السماحة واليسر شريعة رفع الحرج ووضع الآصار ، وعقوباتها وتعزيراتها من لوازم يسرها وسماحتها وعدلها وهي خير الشرائع السماوية كما قال تعالى:""وكذلك جعلناكم أمة وسطا"" والوسط هو الخيار العدل فهذه الشريعة خير الشرائع وأعدلها وأزكاها وأطهرها ، وإذا كانت الشريعة بهذه المثابة فإن الجناية والغواية اتهام أحكامها بالعنف والإرهاب ، ومثل ذلك الدعوى إلى الوسطية بدعوى التيسير المزعوم الرامي إلى ترك بعض الأحكام العقدية والتكليفية.

معاشر المسلمين؛ ومما يزيد البلاء والشر أن يستفتى في أحكام الشريعة من ليس له حظ من العلم الشرعي ، وهذا مما تأباه الأحكام الشرعية وتستقبحه العقول السليمة؛ فمن المسلمات بدها أن كل أهل صنعة أدرى بصنعتهم؛ فأهل الطب أدرى بنوع المرض وتشخيص مكانه ودوائه ، وأهل الزراعة أعلم بنوع التربة والبذر ، ولهذا لما أشار النبي صلى الله عليه وسلم على أهل النخيل بترك لقاحه فتركوه تأدبا مع نبيهم صلى الله عليه وسلم مع علمهم بأن ذلك الأمر سيفسد عليهم زرعهم ، فلما كان ما كان قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم:""أنتم أعلم بأمور دنياكم"" لكنه صلى الله

عليه وسلم عنف من تكلم في أمر الشريعة بجهل؛ ومن شواهد ذلك: ذلك الرجل الذي أصابته جراحة في رأسه، فأصابته جنابة فخشي من الاغتسال فسأل أصحابه فأمروه بالاغتسال فاغتسل فمات فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: ""قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال"".

معاشر المسلمين؛ وإذا كان الله قد تعبدنا بأن نسأل أهل العلم عما أشكل علينا كما قال تعالى:""فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"" فإن من الجناية على أحكام الشريعة أن يستفتى فيها من لم يعرف بعلم فضلا عن فساد معتقده ومنهجه وسلوكه ففي ذلك فساد الدين والدنيا وكيف لا يكون ذلك إذا كانت الأهواء والشهوات سائقة لأحكام الشريعة حسب مرادها وهواها فيلبس الحرام ثوب المصلحة بدعوى التأليف مع الجهل بمقاصد الشريعة وكلام الراسخين في علمها وشموليتها، نعوذ بالله من الجهل والفساد.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلى أن تزيدنا بك علما وأن تزيدنا لك حبا وأن تزيدنا منك خشية. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، اللهم احفظ علماء السنة في كل مكان، اللهم ارفع رايتهم وقوي كلمتهم، اللهم اكفنا شر أهل البدع والضلال في كل مكان وزمان.